العرب
السبت 2019/12/14
السنة 42 العدد 11558

الفضائيات قلّصت شغف الجمهور التونسي بالسينما

ربيعة بن عبدالله: «قبل ما يفوت الفوت» تجربة مُغايرة شكلا ومضمونا

ربيعة بن عبدالله ممثلة تونسية وأستاذة جامعية لمادة التمثيل في جامعة لوميير بمدينة ليون الفرنسية، عرفت بأدائها للأدوار الصعبة، وهي التي شاركت في أعمال سينمائية هامة، منها "عصفور سطح" و"موسم الرجال" و"الخشخاش"، قبل أن تغيب عن الشاشة الكبيرة لعدة سنوات، لتظهر أخيرا في الفيلم الروائي الطويل "قبل ما يفوت الفوت" للمخرج التونسي الشاب مجدي لخضر الذي يعرض حاليا في القاعات التونسية.

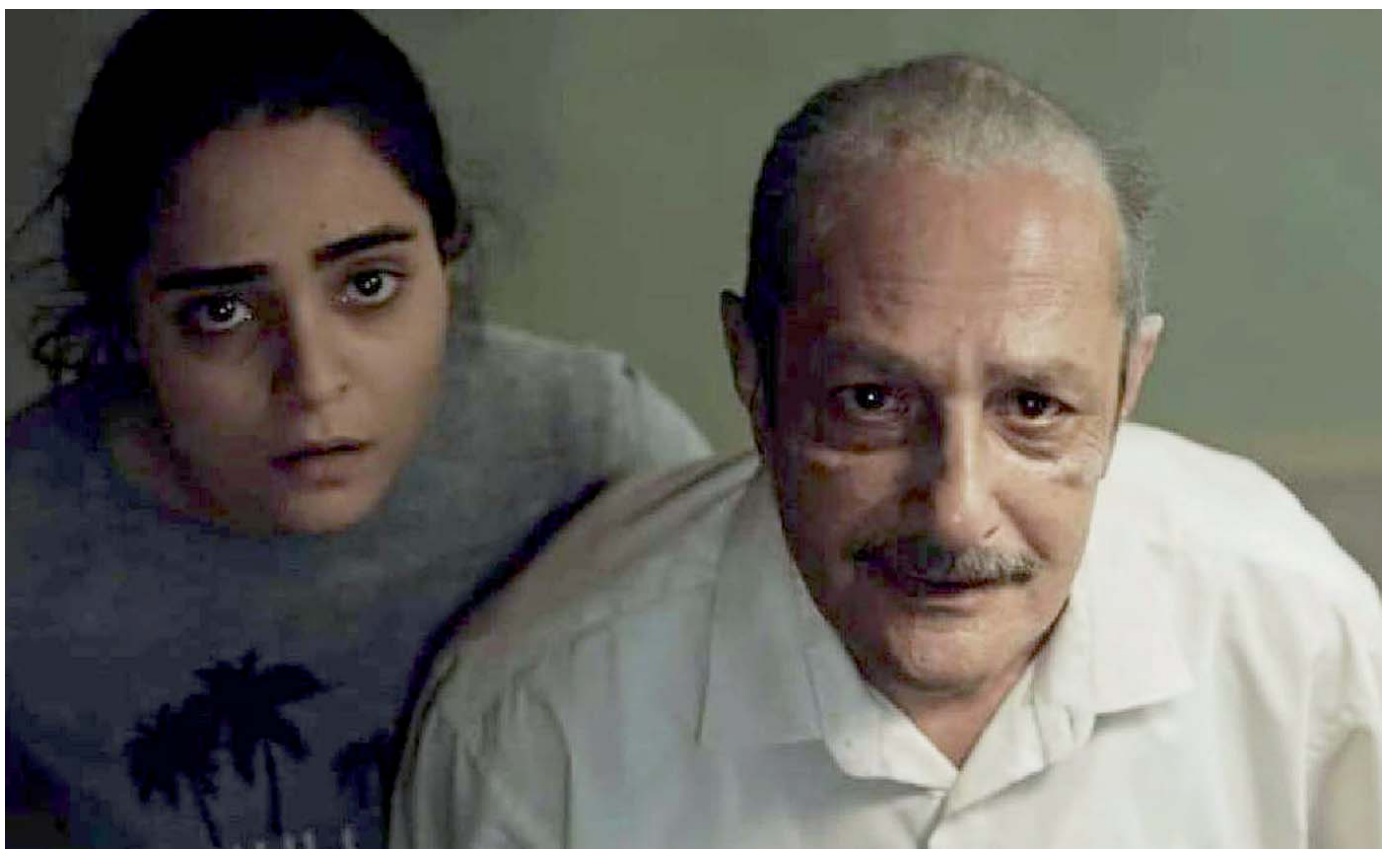

عائلة تسعى إلى الخلاص قبل فوات الأوان

لمى طيارة
كاتبة سورية

تعتبر الفنانة ربيعة بن عبدالله من الفنانات المجتهدات اللواتي يُذكرن حين نتكلم عن السينما التونسية، ابتعدت عن عالم الفن السابع كممثلة منذ فيلمها الأخير مع سلمى بكار "الخشخاش"، وها هي تعود بعد سنوات من الغياب لخوض تجربة سينمائية جديدة عبر فيلم "قبل ما يفوت الفوت" (قبل فوات الأوان)، فأين كانت مختفية ولماذا هي مقلة في ظهورها عموما؟

عن سؤال "العرب" تجيب بن عبدالله "متغيبة لأنني أعمل أستاذة جامعية، أُدرّس مادة المسرح وأعمل على تكوين الشباب ليتعلموا فن التمثيل والأداء المقنع، بالإضافة لكوني أمًا لفتاتين شابتين ومسؤولة عنهما وعن توفير الحياة الكريمة لهما، وهو ما يدفعني للالتزام بعملي الجامعي، ولكن مع أول فرصة عمل تصلني وتقنعني سواء على صعيد القصة أو السيناريو أعود فورا لمجالي الذي أحب، أي التمثيل، خاصة أنه ومنذ سنوات وبسبب الأحداث والثورات التي مرّت بها تونس، لم تعد هناك أعمال سينمائية فيها أدوار لسيدات في مثل سني، بقدر ما هناك أعمال همّها الأول قضايا الشباب، وخاصة المعطل عن العمل وليس العاطل عن العمل، طبعا".

ربيعة بن عبدالله

حبكة قصة الفيلم أعادتني إلى السينما دون تردّد

لم تنكر ربيعة بن عبدالله في حديثها مع "العرب" أن عودتها إلى الشاشة الكبيرة بعد طول غياب مع مخرج شاب في تجربته الإخراجية الأولى، عدّها البعض مغامرة قد تضرّ بمسيرتها الحافلة بالنجاحات، خاصة وأنها المرة الأولى في تونس التي يتم فيها إخراج فيلم سينمائي برمّته عن طريق استخدام الكاميرا المحمولة على أنها الموضوع، لكن إيمانها بالمخرج وإعجابها بقصة الفيلم بدّدا فيها كل مظهر من مظاهر التردّد.

وأضافت "ثم إن المكان والزمان الذي تدور فيهما أحداث الفيلم محصوران في مكان وزمان واحد ومحدد، الأمر الذي يفرض على الممثل أن يقدّم أفضل ما لديه، خصوصا أن الأحداث تتطوّر عبر زمن الفيلم وعلى الممثل أن يتطوّر معها أيضا، وهو ما يمكن من خلاله إبراز طاقاتي التمثيلية".

مغامرة مدروسة

تدور أحداث فيلم "قبل ما يفوت الفوت"، حول كارثة تتعرّض لها عائلة متكونة من أربعة أفراد، أم وأب وابن وابنة يعيشون في منزل متهالك، الأمر الذي يدفع كل أفراد الأسرة للتعاون والتآزر في محاولة لإيجاد حل للخروج من المأزق الذي وقعوا فيه للفوز بأرواحهم في النهاية، وهذه الحبكة الدرامية أعجبت كثيرا بن عبدالله، إضافة إلى ما حمله الفيلم من تحد على صعيد الأداء أمام الكاميرا- البطل الحقيقي في الفيلم.

وتقول بن عبدالله "المعروف عن الممثل سواء على خشبة المسرح أو خلف الكاميرا أنه يستمد جزءا من شحنته العاطفية وربما طاقته من خلال الممثل الشريك له في الحدث أو المشهد، لكن في حالة فيلم "قبل ما يفوت الفوت" تغيّر الأمر، فأن يكون تفاعلي مع الكاميرا المحمولة مباشرة وكأنها ممثل يشحنني بأحاسيسه ومشاعره وعواطف، دعاني إلى استحضار التقنيات التي أمتلكها والتي سبق وأن درستها وتعلمتها، خاصة ما تعلق منها باعتماد الممثل على مشاعره الداخلية".

وتضيف "المرأة التي لعبت دورها في الفيلم، هي أم مسؤولة عن أسرة بأكملها، وهي في الوقت عينه مريضة بنوع من الضيق في التنفس، وهو ما شكل لي تحدّيا آخر في استخدامي لتقنيات الممثل، والقدرة على امتلاك الحماس الداخلي والهلع والغضب".

لا تخفي الممثلة التونسية المخضرمة في سياق حديثها لـ"العرب" تذّمرها من غياب جمهور الفن السابع عن القاعات السينمائية التونسية، وهو الذي بات يوصف بكونه جمهور مناسبات، حيث تغصّ به قاعات العروض في أيام قرطاج السينمائية، ليغيب عنها على مدار العام.

وعن هذه الظاهرة المخصوصة للجمهور التونسي، تقول "الحقيقة أن جمهور أيام قرطاج السينمائية هو جمهور خاص، وخصوصيته تنبع من هذه التظاهرة وقيمتها المعنوية لديه، لكن بعد انتهاء المهرجان ينتهي كل شيء، حتى الحركة والنشاط يتوقفان في شوارع العاصمة، وهذا للأسف يعتبر خسارة كبيرة للسينما التونسية وصنّاعها".

وتضيف "نتمنى طبعا، أن تمتد ظاهرة الإقبال على قاعات السينما إلى ما بعد انتهاء أيام قرطاج السينمائية التي لا تتجاوز مدتها الأسبوع، لكن هذا لا يحصل للأسف، والمسألة تتكرّر في كل عام، فأين ذهب ذاك الجمهور؟".

هنا، تجيب بن عبدالله عن تساؤلها مؤكّدة "إذا بحثنا عنه سنجده جالسا أمام شاشات التلفزيون يتابع الدراما سواء العربية أو التركية، وهو ما يعني أن الجمهور التونسي ليس لديه الخيار في ما يشاهد، ومن هناك وجب على الموزّعين الاجتهاد أكثر في توزيع الأفلام التونسية والعربية المتميزة."

سطوة التلفزيون

تعترف ربيعة بن عبدالله بأن أزمة غياب الجمهور عن قاعات السينما، خاصة في العروض التجارية تعدّ أمرا مُربكا لصنّاع الأفلام ونجومه ما يُشكّل خسارة كبرى للقطاع. ومع ذلك تقول "السينما في النهاية ورغما عن أنوفنا أصبحت تجارة، وطالما وجب عرض الفيلم التونسي تجاريا في القاعات التونسية، فإنه سيحتاج لتسويق كبير عبر الإعلانات، لذلك يقع على كاهل المنتج والموزّع الترويج للفيلم عبر مواقع التواصل الاجتماعي والقنوات التلفزيونية وغيرها من وسائل الدعاية بهدف جلب الجمهور، وعلى وزارة الثقافة أيضا أن تقوم على الأقل بالإعلان عن الأفلام التي قامت بدعمها."

وتستطرد "أما بالنسبة لغياب الجمهور التونسي عن قاعات السينما عموما، فسببه الفضائيات التي باتت اليوم أكثر من أي وقت مضى تقدّم كل ما هو سطحي وتافه للمُشاهد، الأمر الذي لا يجعله يفكّر في ما يُعرض عليه أو يحلله، فما يقدّم اليوم هو مجرد صور يتابعها حتى وهو يتناول طعامه، كما أن وجود قنوات تونسية تعرض دراما تركية مُدبلجة إلى اللهجة التونسية، جعلت من المواطنة والمواطن التونسي الجالس في منزله في فصل الشتاء البارد، مثلا، يستقبل الدراما التي تأتي لخدمته دون أن يبذل عناء الخروج إلى قاعات السينما والبحث عمّا يفيده ويثريه ثقافيا وجماليا".

المسرح الأردني يُسائل واقعه وآفاقه

عواد علي
كاتب عراقي

عمان – استضافت مؤسسة عبدالحميد شومان في العاصمة الأردنية عمّان، مؤخرا، ندوة حوارية بعنوان "المسرح الأردني وأسئلة التطور"، شارك فيها المخرج عبدالسلام قبيلات، مدير مسرح الشمس، والمخرجة لينا التل مديرة مركز الفنون الأدائية وأدارتها الفنانة حياة جابر.

وخلصت الندوة إلى أن المسرح الأردني لا يلبّي الطموح، وأنه يعيش أزمات كبيرة تتجلى في مستويات عديدة، سواء في القطاعين الرسمي والخاص، والمعنيين بالمسرح. ولفتت الندوة إلى أن المسؤولين في القطاع الثقافي الرسمي لا يدركون أهمية المسرح ولا يقدّرون دوره أو رسالته.

وقال مؤسّس مسرح الشمس ومديره عبدالسلام قبيلات "ثمة توجه للتركيز على الكم بدلا من النوع، وبدأت محاولات إجهاض المهرجانات المسرحية، بما يستدعي دق ناقوس الخطر"، مشددا على أهمية الالتفات للمسرح ورسالته بدلا من إهماله.

وأبدى قبيلات قلقه من خلوّ المؤسسات الثقافية الرسمية من المتخصّصين بالمسرح، لكنه رأى أن المسؤولية لا تقع على كاهل هذه المؤسّسات وحدها، فثمة أيضا القطاع الخاص، وهو قطاع غير معني بمسألة خلق تيار إبداعي. ورأى قبيلات أن المشتغلين بالمسرح تغيب عنهم الرؤية الواضحة والمحفّزة للعطاء، وأصبح عملهم مرتبطا بـ"المواسم"، فهم يقدّمون أنفسهم فيها كمهتمين بالمسرح، وهذا يتم غالبا على حساب قواعد المسرح وأساسياته كفعل ثقافي مستمر.

فن يحتاج إلى رؤى جديدة

ويتطلّب المشهد المسرحي في الأردن، كما يقول قبيلات "إعادة نظر في مستويات متعدّدة في سبيل إدماجه بالعملية التعليمية في البلاد، ومراجعة أداء المؤسسة الثقافية الرسمية."

عبدالسلام قبيلات

ثمة توجه للتركيز على الكم بدلا من النوع في المسرح الأردني

وتابع "ليس هناك حركة مسرحية أردنية، بل هناك فعاليات أو نشاطات متفرقة، وليس هناك عروض متواصلة موجّهة لجمهور يتوجّه لحضورها من خلال شباك التذاكر، إذ انحصر المسرح في المهرجانات التي تنظمها وزارة الثقافة الأردنية، وتقدّم أعمالا لا يحضرها سوى الفنانين أنفسهم، وهي تخضع للمحسوبيات والشخصنة".

ودعا قبيلات إلى إعادة النظر في اتفاقيات وزارة الثقافة "الموضوعة في الأدراج"، وتنظيم عملية الإنتاج المسرحي والفني خارج المهرجانات وغيرها، إضافة إلى إنشاء صندوق للثقافة يتم من خلاله الإنتاج الثقافي، مشيرا إلى أن القانون المنظّم للصندوق أُقِرّ قبل أن يتمّ التراجع عنه.

من جهتها، تناولت المخرجة لينا التل التحديات أمام انتشار الثقافة المسرحية، ومن أبرزها غياب المسرح عن المدرسة، فأغلب الطلبة لا يعرفون شيئا عنه حتى وصولهم إلى المرحلة الجامعية، هذا إن وجدوا في أنفسهم ميلا لمعرفته ومتابعته.

وذهبت التل إلى أنه ليس هناك رؤية حقيقية وواقعية لتعميم الثقافة المسرحية على المجتمعات، وأن "زخم العروض" منتشر في العاصمة عمّان، بينما هناك محافظات أخرى لا تكاد تشهد عرضا واحدا طوال العام.

وشددت التل على أهمية استخدام المسرح في العملية التعليمية للطلبة، لاسيما أن المسرح يعد وسيلة تعليمية راقية تجذب الطلبة وترفع من وتيرة تفاعلهم واستقبالهم للمعرفة، قائلة "علينا أن نشحن عقول الأطفال واليافعين بالفن والأفكار الإبداعية."

وأكدت على ضرورة الانتباه إلى المسرح، خاصة في هذه الظروف التي يمرّ بها، وكذلك التوسّع في تقديمه ودعمه وطرح الأفكار من خلاله، وتعويد المجتمع على الفن والذائقة الجمالية الرفيعة، وطرح القضايا الملحة عبر أعمال مسرحية.

يُذكر أن بداية المسرح في الأردن تعود إلى العام 1918 في دير اللاتين بمدينة مأدبا، وتقام فيه سبعة مهرجانات مسرحية سنوية هي مهرجان رم المسرحي (عربي)، مهرجان رم المسرحي (محلي)، ليالي المسرح الحر الدولي، مهرجان عمون لمسرح الشباب (محلي)، مهرجان مسرح الطفل (محلي)، عشيات طقوس المسرحية (عربي)، ومهرجان مسرح الطفل العربي.

وتنشط في العاصمة مجموعة فرق مسرحية مثل فرقة "المسرح الحديث"، فرقة "المسرح الحر"، فرقة "مسرح الشمس"، فرقة "عالخشب" وفرقة "الرحالة المسرحية" تتلقى إنتاجاتها دعما ماليا من وزارة الثقافة الأردنية ومؤسسة عبدالحميد شومان وأمانة عمّان الكبرى وبعض البنوك والشركات الخاصة. لكن معظم هذه الفرق يكاد ينحصر في تقديم عروض فقط في إطار المهرجانات التي ذكرناها، باستثناء فرقتي "مسرح الشمس" و"المسرح الحديث" اللتان تقدّمان عروضهما للجمهور بتذاكر رمزية أو مجانا.

اليونسكو تصنّف موسيقى الغناوة المغربية تراثا ثقافيا

موسيقى تمزج بين طقوس أفريقية وتقاليد صوفية إسلامية

الرباط – صنّفت، الخميس، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) موسيقى الغناوة المغربية تراثا ثقافيا لاماديا للإنسانية. وأشار ملف الترشيح الذي قدّمه المغرب، في وقت سابق لمنظمة اليونسكو إلى أن الفرق الغناوية "في تزايد مطرد" سواء في القرى أو كبريات مدن المغرب، بالإضافة إلى مهرجانات تقام طوال السنة "وتتيح للأجيال الشابة اكتشاف الكلمات والآلات المستعملة إضافة إلى الطقوس" المرتبطة بهذه الموسيقى.

وتمزج موسيقى الغناوة بين طقوس أفريقية وتقاليد صوفية إسلامية، وتعود أصولها إلى عبيد استقدموا من جنوب الصحراء، قبل أن تصبح جزءا من الثرات الفني الشعبي في المغرب.

وهي ليست مجرد موسيقى تعزف وفق إيقاعات خاصة، بل هي أيضا "طقوس صوفية تؤدي أدوارا علاجية"، وتحيل هذه الإشارة إلى المعتقدات الشعبية التي تنسب لموسيقى الغناوة إلى قدرتها على "علاج المس" و"ترويض الجن" على غرار العديد من الأنواع الموسيقية الشعبية المرتبطة بطرق صوفية في المغرب وتقاليد الاستشفاء لدى الأولياء والأضرحة.

وتتحقق هذه الأغراض العلاجية، بحسب المعتقدات المحلية، من خلال إحياء حفل "الليلة" الغناوية لتخليص النفوس المسكونة من الأرواح الشريرة وتحقيق "الحلول" الصوفية. وتستلهم هذه الطقوس من تقاليد أفريقية امتزجت بتأثيرات شعبية عربية إسلامية وأمازيغية.

وتؤدي هذه الطقوس فرقة يقودها "معلم" ومجموعة عازفين على آلة "الكنبري" الوترية وطبول وآلة "القراقب" الشبيهة بأجراس معدنية، مردّدين أهازيج وكلمات محددة. ويرتدي هؤلاء أزياء ملونة ومزركشة واضعين طاقيات على رؤوسهم.